الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

Université Ain T'émouchent Belhadj Bouchaib -

Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social

Département Lettre et Langues arabe

رقم المذكرة: ..../2026

مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري .

عنوان المذكرة:

صورة الوطن ورمزية الأماكن في رواية "نوبة الغَرِيبَة" لمحمّد الأمين بن ربيع.

إعداد الطالب:

سارة جيلالي

إشراف:

أ.د عبد الرزاق علاّ

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د حليمة بالوافي	أستاذة التعليم العالي	جامعة بلحاج بوشعيب-عين تموشنت	**رئيسا**
أ.دعبد الرزاق علا	أستاذ دكتور	جامعة بلحاج بوشعيب-عين تموشنت	**مشرفا، ومقررا**
أ.د عزي مريم	أستاذة محاضرة أ	جامعة بلحاج بوشعيب –عين تموشنت	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 1446هـ–1447هـ/ 2025–2026

بسم الله الرحمن الرّحيم

إهداء

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾سورة النمل .

هذه اللحظة لا تورث ولا تشترى لقد دفعت ثمنها عمري و شبابي و سهري و خوفي و دموعي، هي لهفة الوصول، ودمعة الحزن فرحة العمر هذه هي النهاية السعيدة لبدايات أعظم و أصبح حلمي حقيقة.

بعد خمس سنوات من الجدّ والاجتهاد ومن أجل تحصيل العلم والمعرفة، حملت في طياتها أمنيات وغايات، فكان أمسي ميعاد اليوم، فإذا كانت أول انطلاقة دمعة فإن نهايتها بسمة، ولكل بداية لها نهاية

فالحمد لله الذي يسر لنا البدايات، وبلغنا النهايات بفضله وكرمه.

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين فهما من أوصلاني لما أنا عليه الآن وسهروا الليالي من أجلي:

- إلى والدي نور عيني لمن كلل العرق جبينه، لمن علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر والإصرار، ولولاه لما وصلت لهذا النجاح إلى أبي العزيز ونور دربي "جيلالي محمد"، الذي ساندني وتعب من أجل إتمام هذه المسيرة الدراسية الطويلة، وكرس حياته من أجل تعليمي وربائي على المبادئ الحميدة ،إلى من جرع الكأس فارغا ليهديني قطرة حب ،إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم أدام الله في عمرك يا رب.
- إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها ،لمن كانت دعواتها تحيطني إلى من ساندتني بكل حب عند ضعفي، وأزاحت عن طريقي المتاعب قرة عيني وسر نجاحي وسندي أمي الغالية "السيدة جيلالي"
- إلى إخوتي: عبد الصمد، ياسين، وأخر العنقود لقمان شكرا لكل فرح أضفتموه في حياتي
- إلى إبنة عمي مريم وأحبتي وعائلتي "بطايب" العائلة المثيلة
- إلى كل من ساهم في نجاحي من قريب أو بعيد, ومن دعموني وكانوا شركائي في هذه الرحلة لمن أسعدني، ولو بكلمة طوال فترتي في القيام بهذه المذكرة.

{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} سورة يونس "10"

سارة جيلالي

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد، فإنني أشكر الله العلي القدير أولا و آخرا على توفيقه لي لإتمام هذه الرسالة

فهو عز وجل أحق بالشكر والثناء وأولى بهما انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم:" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "واعترافا مني لأهل الفضل الذين علموني الكثير، أتقدم بالشكر والثناء العاطر وجميل الوفاء لكل من أسدى لي علما أو فادني بتجربة أو قدم لي رأيا أو توجيها أو إضافة.

وأخص بالشكر الجزيل أستاذي المشرف ،الأستاذ الدكتور:" علا عبد الرزاق"،وجدته نعم المرشد ونعم المشرف قد منحني من وقته الكثير وصبره الجميل وأرشدني بملاحظاته القيمة أثرت مساري في إعداد هذه المذكرة ،لولا تفضله علي لما استطعت إتمامها بهذا الشكل ، أسأل الله أن يطيل عمره وينير في دربه .

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقبول مناقشة هذه المذكرة و إبداء ملاحظاتهم و أراءهم القيمة والتي ستثري هذا العمل المتواضع

أشكر أيضا العامل بالإدارة الأستاذ على مساعدته لي في انتقاء المشرف ،فشكرا جزيلا لك أستاذي الفاضل على كل المجهودات التي قدمتها لي طيلة المشوار الدراسي.

كما أشكر بقية أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة بلحاج أبو شعيب ،وكل الزملاء بالدراسة وكل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع.

وفي الأخير أسأل الله العلي القدير التوفيق للجميع وأن ينتفع الجميع من هذه المذكرة.

مقدمة

تعد الرواية من أهم الفنون الأدبية في العالم العربي، شهدت تقدما ملحوظا منذ ظهورها،نظرا لشساعة فضائها و اتساع محتوياتها، لهذا أصبحت قادرة على استيعاب العناصر و الأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي، فلم تعد الفنون الأخرى قادرة على إيقاف تقدم هذا الفن أو دفعه إلى الجمود.

فالرواية جنس أدبي متحول، يخضع إلى مجموعة من الدوافع و العوامل تجعل الأديب ينقل ما يعترضه أو يعترض مجتمعه إلى كتاباته لأن الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه، بل يعمل دائما على إيجاد الصلة بينه و بين أفراد مجتمعه، لذلك يحاول أن يجعل كتاباته هي الرابط المتين، لأن الكاتب الذي ينقل أعمال الناس و تصرفاتهم النفسية و السلوكية في الحياة، تجعله ينتقي أحداثها و مشاهدها، و تناقضاتها بالسرد و الإخبار لتؤول في نهاية المطاف إلى عمل روائي خالص.

فقد مثلت الرواية الجزائرية صورة صادقة تعكس واقع الوطن بمختلف مراحله، وفي شتى جوانب الحياة سواء اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا....بكل ما ينطوي عليه من تباينات ،واختلافات وهذا ما جسده الكاتب محمد الأمين بن ربيع في روايته نوبة الغريبة، الرواية التي مثلت الأوضاع التي عاشها الشعب الجزائري خاصة في مراحل السبعينات ،والثمانينات ،والتسعينات، وأيام العشرية السوداء من أتعس الأيام و قسوتها، شهد فيها الشعب المعاناة بمختلف أشكالها من ظلم، جور و حرمان منهم من راح ضحية ،ومنهم من ظل يواجه لوعة العذاب حيا في ظل الأمكنة التي احتلت مكانا واسعا في الرواية سواء المفتوحة، أو المغلوقة على تنوع دلالاتها، إلا أن صورة الوطن في هذا الإنتاج الأدبي تراوحت بين حقل النزاع، والبلاء ،وبين حيز الانتساب والأصل مما جعل الشعب متشابك ومتماسك تأطرهم روابط أصلية من أجل الصمود، والكفاح في وجه العدو ساعيين لنيل الاستقلال بجل الطرق، وإبرازهم للوطن بكونه يعكس تجاربهم التي قد رسخت في الذاكرة .

تكمن أهمية هذا البحث في مدى هيمنة المحيط وسط الظروف، وطريقة تجسيد الرواية للوطن كدلالة للانتماء و النزاع، بالإضافة إلى تشكيل الصفات الملائمة للشخصيات وتغيير الاتجاه الخاص بالأحداث، كما يركز على التفحص الدقيق للفضاء في تقوية البنية السردية والدلالية للنص.

كما يسعى إلى تقصي ومعرفة صورة الوطن ورمزية الأماكن في رواية نوبة الغريبة، وتحليلها وإعطاء كل عنصر حقه مبرزا الحديث عن كل مرحلة خاض فيها الشعب تجارب مؤلمة ولدت في نفوسهم الرهبة، والخوف والرعب من الموت، وافتقارهم للحرية والأمن الذي غاب في البلاد .

أما من الأسباب الموضوعية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هي محاولة إظهار صورة الوطن التي تبلورت في هذه المراحل الثلاث والإفصاح عن الواقع المأساوي الحزين للشعب، والتعمق في باطنه مع الكشف عن الجانب السلبي والإيجابي له ومعرفة الأماكن التي شغلت رواية نوبة الغريبة بمختلف دلالاتها.

ولقد اعتمدت في هذا البحث على بعض الدراسات السابقة لإزالة الغموض، وتحديد منطلقات البحث منها:

- صورة الوطن ودلالتها في رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح.
- تجليات الوطن والثورة في الرواية الجزائرية رواية أم النسور لياسين نوار .

ومن هنا نطرح جملة من التساؤلات الآتية :

- كيف تملت صورة الوطن في رواية نوبة الغربة لمحمد الأمين بن الربيع ؟

-وما الزوايا التي احتوتها صورة الوطن في رواية نوبة الغريبة بين الإيجاب والسلب؟

- ماهي أنواع الأمكنة التي اندرجت في الرواية وما هي أهم الدلالات التي أوحت إليها ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت بحثي وفق خطة تتضمن مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، ثم خاتمة فيها موجز لكل النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

بداية تناولت في المدخل لمحة عامة عن الوطن، والمكان، والصورة ، أما الفصل الأول يخص الجانب النظري فيه صورة عامة للوطن في الكتابات الروائية الجزائرية بمختلف مراحله قسمته إلى ثلاث مطالب، المطلب الأول فيه: صورة الوطن في مرحلة السبعينيات حتى الثمانينات، المطلب الثاني: فيه صورة الوطن في مرحلة التسعينات حتى الألفيات، والمطلب الثالث فيه: صورة الوطن في مرحلة ما بعد الأزمة السياسية.

أما الفصل الثاني، والثالث (الجانبين التطبيقيين)، تناولت في الفصل الثاني كتمهيد عن صورة الوطن في رواية نوبة الغريبة، ثم ملخص عام حول هذه الرواية، بعدها قسمته إلى مطلبين، المطلب الأول فيه: صورة الوطن الإيجابية والمطلب الثاني فيه: صورة الوطن السلبية مرورا بالفصل الثالث الخاص بأنواع الأمكنة في رواية نوبة الغريبة، أيضا قسمته إلى مطلبين الأول فيه: الأمكنة المفتوحة ودلالتها، والثاني فيه: الأمكنة المغلقة ودلالتها، وفي الأخير كخاتمة مستخلصة لنتائج البحث والإجابة عنها بقدر الإمكان، ثم قائمة المصادر والمراجع التي وثقت بها أهم المعلومات وملحق فيه نبذة عن الروائي محمد الأمين بن ربيع، وأهم أعماله .

أما بالنسبة إلى المنهج الذي اعتمدته في دراستي هو المنهج الوصفي التحليلي من أجل تتبع سياق البحث، ودراسته دراسة تحليلية شاملة، كما أنير دربي بعض المصادر والمراجع التي ساعدتني في إعداد بحثي منها:

-علي البطل الصورة في الشعر العربي .

-أبو الفضل جمال الدين ابن منظور لسان العرب.

-عبيدي مهدي جمالية المكان في ثلاثية حنامينه.

-محمد بوعزة تحليل النص السردي .

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتها هي قلة المصادر والمراجع، والضغط النفسي فقط غير هذا لا توجد صعوبة أخرى.

وفي الختام أشكر الله تعالى على توفيقه وسداده لإتمام هذا البحث، كما أشكر أستاذي المشرف الدكتور:

عبد الرزاق علاّ الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته، فكان نعم المعين في هذا المشوار، سواء من ناحية توصياته العلمية، أو إرشاداته القيمة جزاه الله خير جزاء.

عين تموشنت 01-05-2026

جيلالي سارة

مدخل: صورة الوطن و رمزية الأماكن قراءة في المفاهيم و المصطلحات:

1- مـــــاهية الصـــورة

2- مـــــاهية الوطـــــــن

3- ماهية المكان و أنواعه

توطئة

الوطن هو تلك الرقعة الجغرافية التي يسكنها الإنسان وينتمي إليها قلبا وقالبا، فحبه الودود يعدّ من أنبل الخصال التي يتحلى بها الفرد الذي يقطنه، فسعادة الإنسان تقترن بانتمائه و افتخاره و اعتزازه بانتمائه لوطنه« إن الوطنية عاطفة نبيلة يستشعرها المواطن اتجاه وطنه من خلال مجموعة من الروابط الروحية, التي تتنامى في داخله, وتنعكس في سلوكه.»[1] فالوطن يسكن الإنسان قبل أن يسكنه، فلا يمكن لأي إنسان سواء كان كبيرا أو صغيرا طفلا أو رجلا ذكرا أو أنثى وهو يتمتع بعاطفة وشعور ولا يحب وطنه، فحب الوطن من الإيمان فهاهو أبينا إبراهيم يدعو الله عز وجل أن يبارك في وطنه وبلده من خلال قوله تعالى:**{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**[2].فالآية الكريمة تبرز دعاء سيدنا إبراهيم بأن يحفظ بلده من كل آذى وشر، وأن يجنبه الفتن، وأن يطهره ويزكيه.

فهو ليس مجرد رقعة جغرافية بل هو موطن للسّلم و الأمان، ومصدر للعزّ و الافتخار وهو يمزج بين الذاكرة والمكان والمجتمع بجذوره وأصوله العريقة .

ومن ناحية أخرى لا ننسى المكان بمفرده فقد يكون الموضع، أو الحوض الذي يحاط به الانسان فيمكث به ويستقر فيه ، كما نجد في السنة النبوية ما يثبت بأن المكان والوطن يتدخلان في المفهوم ففي صحيح المسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:«**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الرَّوْحَاءِ.» قال سليمان: فسألته عن الرّوحاء؟ فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلا»**[3]، بمعنى أن الروحاء موضع قريب من المدينة المنورة, وتأكيد مصداقية توظيف عنصر المكان في هذا الحديث الشريف واستعماله للدلالة على التحديد المكاني وارتباطه بالإحاطة.

---

[1] مجدولين علي المساعفة، صورة الوطن في شعر حبيب الزيدودي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأداب والعلوم 2013 ص 02.

[2] سورة البقرة الآية 126

[3] الدُرر السنية، الموسوعة الحديثية، علوي بن عبد القادر السقاف. اطلع عليه يوم:10/12/2025, سا 09:35/ www.Dorar.com

وعليه نستخلص بأنّ الوطن أعمق أوسع، و أشمل من المكان الذي يرتبط بالوطن، وهو ذلك الارتباط النفسي، و العاطفي العميق من البيت الأول الذي كبرنا فيه، ومن شوارع وأحياء لعبنا فيها، ومن مدرسة تعلمنا فيها...) ،كل هذه الأماكن تتقارب لتشكل لنا وطنا.

1- ماهية الصورة:

إن الصّورة أداة متينة، و آلية صارمة للإثبات والتوثيق وتصوير الواقع أو الخيال، كونها تجسد الفكرة وتشخص الدلالة العامة بأسلوب يترسخ في ذاكرة الشخص، تتيح له الفرص لاستيعاب التفاصيل، وإدراك المشاهد بدقة ومن ثم تترك في القلب أثر يبقى عالقا بالقلوب.

أ/ لغة:

«وردت في لسان العرب لإبن منظور الصورة في أسماء الله الحسنى المصور الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة و هيئة منفردة يتميز بها على اختلافها و كثرتها »[1].

وفي معجم الوسيط نجد« الصورة: الشكل و التمثال المجسم وفي تنزيل العزيز:**{ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ}**[2] وصورة المسألة أو الأمر: صفتها والنوع يقال: هذا الامر على ثلاث صور، وصورة الشيء، ما هيته المجردة و خياله في الذهن أو العقل»[3]. من خلال هذه التعريفات نستخلص بأن الدلالة التي توحي إليها الصورة عند ابن منظور، هي من ضمن المفهوم الوجودي، الذي يرتبط بخلق المولى عز وجل، ومنه أسماء الله " المصور" بينما في المعجم الوسيط تعني الشكل والتمثيل الذي تبنى عليه الأشياء، بمعنى الهيئة العامة للشّخص التي ينفرد بها عن غيره، مثلما جاء في سورة الانفطار، بمعنى كيفية خلق الله تعالى لعبده الكريم، وتعديله في أحسن صورة، كونه كرم بالعقل، وميزه عن سائر المخلوقات، وبالتالي هنا يكون مفهومها أوسع، وشامل للذهن، وللصورة الفنية بصفة عامة.

كما وردت لفظة" الصورة" في آيات قرآنية جمة منها قوله تعالى:**{ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ}**[4].

---

[1] ابن منظور, لسان العرب, تح عبد الله علي الكبير و آخرون, دار المعارف القاهرة مصر طبعة جديدة 1119 ص 2523

[2] سورة الانفطار الآيات 7-8

[3] ابن منظور, لسان العرب, ص 2523

[4] سورة غافر الآية 64

كذلك في قوله:{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأرض بِٱلحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحسن صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}[1]، هنا تظهر هذه الآيات الكريمة صورة خلق الإنسان، و تكوينه في شكله الخارجي، أو ما يسمى بالمظهر الفيزيولوجي، و كيف يبدع الله تعالى في تصويره، فالفعل صوّركم يدل على برهنة القدرة الإلهية الربانيّة الفائقة في تشكيل الصّورة الشخصيّة لعباده، و اختلاف الهيئة من شخص لآخر، و ظهورها في أبهى صورة ·

وعليه ما أكدته هذه الآيات عن الصورة الإنسانية، نبع من الإله وحده لا شريك له، و التصوير في كلامه ليس من الجانب الخارجي (الظاهري) فقط، و إنما تكامل في الجسد و الذهن معا، يقول ابن الأثير: «الصورة ترد نفسها في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته يقال: صورة الفعل كذا و كذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته»[2]، على ضوء هذه المقولة نختم الحديث بأن الأصل في الصورة كلها يعود إلى الهيئة الخارجية أي المظهر، و الباطن (السطح العميق)، و ما يمثله من دلالة ذهنية، أو معنوية على حسب المضمون كونها وسيلة للتعبير، و تجسيد المعنى في الشيء، ومنه فإن الصورة عامة هي الهيئة الشكلية للإنسان، أو هي المرآة التي تعكس المظهر الخارجي، و الجانب الشكلي له، فالضمير الغائب "هو" يفيد التوكيد، و المصور هو الذي يصور كل مخلوق، و يعطيه هيئته الفردية الخاصة به، بمعنى أنها الفكرة التي تترسخ في أذهان الأشخاص.

وعليه نختم القول بأن الدلالة اللغوية للصورة هي ميزة تشير لهيئة الشيء، أو شكله سواء إنسان، أو حيوان أو غيره كونها تدل في معناها على المظهر الخارجي، و المعاني الذهنية، و الفكرية منها ما يرتبط بالخيال فنجد صورة الشيء في الذهن، أي الهيئة المتخيلة و المتصورة في العقل، و منها ما يرتبط بفكرة الخالق في إبداعه، و تصويره للكون و البشر عامة باعتبارها تجسيد للمعنى.

ب/ اصطلاحا:

شغلت دلالة الصورة بال الكثير من النقاد العرب و الدارسين، وقد كانت موضع اهتمامهم في معناها، و أبعادها الفكرية و الجمالية، وقد حظيت بعناية كبيرة فهناك من ربطها بالشكل، و تمثيلها بالأجسام مثل ما جاء في المدلول اللغوي في القرآن الكريم، و البعض الآخر قد حصرها في الذهن و الخيال الواسع في تصويرهم للأشياء.

يعرف "علي البطل" الصورة، و يربطها بالشكل إذ يقول:« فالصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن

[1] سورة التغابن الآية 03

[2] د محمد التونجي، المعجم المفصل في الآدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 2 1999–م ج1, ص 591

اغفاله من الصور النفسية و العقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية»[1]، بصريح العبارة أنها تجسد المعنى، و تعطي أثر فني و جوهري في المتلقي، يندرج فيه الإحساس عبر اللغة و الإيحاء، فهنا لا يقصد بها الصور البيانية و التعابير المجازية بل عكس ذلك، تشمل الإطار الألي التعبيري الذي يسهم في إثارة خيال المتلقي، و ربطها بالحواس.

يقول" جان بارتليمي":« إن الصورة– كمبدأ– هي مصدر جمال الصورة»[2]، و يقول الدكتور عز الدين اسماعيل: «ولكنه لا ينقلها كما هي بل يخضعها لتشكيلها، فتأتي صورة لفكرته هو وليست صورة لذاتها و ذلك لأن الصورة ليست تسجيلا فوتوغرافيا للأشياء، فإننا نجد في الصورة ربط بين عوالم الحس المختلفة»[3].

وعليه، يمكن القول بأن ميزة الصورة قد اقترنت بالجمال والجوهر الفني، و ربطها بالحواس التي تجعل الفنان يعطي بعدا حسيا وخيالا واسعا في تصويره للأشياء، فينتج صور فنية تثير في ذهني المتلقي الإعجاب، والإثارة، و الدهشة.

ففكرة أن الطاقة تتولد بمعنى أنها تجعل الصورة أكثر حيوية، و نشاط و تفاعل غير ثابتة، واعتماد الشعور بشكل صادق، و أصيل يدل على أن الصورة بشكل حقيقي، تبرز حين يتفاعل الإنسان معها بصدق، و مصداقية لذلك تبعث في نفس البشرية إحساس بالراحة، و الحتمية بالإعجاب، أي أنها أداة للتعبير عن الآراء، و الأفكار أو ما يجول في خاطر الإنسان من مشاعر، و أحاسيس التي تركب في العقل لصنعها، و تشكيلها بمعنى أنها تحصيل ذهني بين المحسوسات، وفي مجمل القول تعد الصورة عند ساس عفاف تكوين ذهني، و هيكل فكري يهدف إلى كل ما يستوعبه الإنسان بواسطة الحواس.

نفس المثال نجده عند "الدكتور على الصبح" في إعطائه مفهوم عام للصورة الأدبية إذ يقول: « هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشعار أعنى خواطرهم و مشاعرهم و عواطفهم المطلق من عالم المحسات ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى»[4]، هذا دليل على أن كل التعريفات التي ذكرت سابقا توحي للدلالة الصورة بأنها إطار لربط بين المحسوسات، و الخيال الذهني الذي يتصوره العقل في مخيلته لكيفية ابتكار الصورة.

---

[1] د محمد التونجي، المعجم المفصل في الآدب، ص 591

[2] علي البطل, الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري, دار الاندلس بيروت ط 2. 1981 ص 30

[3] المرجع نفسه الصفحة 31 - 32

[4] على على صبح, البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر – المكتبة الأزهرية للتراث, القاهرة ط 2, اكتوبر 1995, ص 11

فهذه الدلالات تحمل وجهات نظر مختلفة فمثلا: الدلالة الذهنية خاصة لذهن الإنسان، و قوام تفكيره في عقله لمعرفة الأشياء، و كيفية إدراكها و مدى استيعابها بينما الدلالة النّفسية فهي قريبة من الجانب الذهني لكنها تميل نحو الجانب العاطفي الحسّي، و ما يشعر به الإنسان تجاه تلك الأشياء، بمعنى أنّها وسيلة لدمج العالم الخارجي بالنفس، و الذهن معا للشخص، وهو ما ذهب إليه عبد المالك ضيف بقوله:« اذ الصورة صيغة جزئية ينسجها العقل ليخزن فيها تمثل الذات لشذرة من شذرات الموضوع المنسجمة صغيرة يودعها انفعال الداخل أمام الخارج. مما يخول لنا حق تصورها كخزان صغير يحتقب كلا من التصورات الذهنية و التفاعلات النفسية المتفارجة »[1]، فالصورة من خلال هذا القول، هي صورة جزئية عن الكل يبنيها العقل على أساس الحس، أو الذهن أو الرمز عامة إضافة إلى ذلك فهي تعد إبداع ذهني ووحدة مصغرة، للتركيب الداخلي فيما بينه تعطي للقارئ، أو المتلقي الاعتماد و التركيز على مجال، أو بعد محدد في الموضوع، و ما يمكن استنتاجه من المدلول الاصطلاحي العام و الشامل للصورة أن كل التعريفات تحمل دلالة مميزة و معنى يوحي إلى الذهنية أي (العقل)، و النفسية (من مشاعر الانسان)، و الحسية الجانب الملموس (رؤية, لمس....)، بمجملها تصب في إطار واحد يساعدها في تصوير التجارب الفنية.

2- ماهية الوطن:

الوطن هو ذلك الإطار المدني الراقي الذي يشكل مركز الاستناد القوي للإنسان، وقدرته في مواجهة الصعوبات و العراقيل لالتزامه الأخلاقي في بناء الحاضر، و حفظ الماضي المجيد ، ومن ثمّ فقد اختلفت دلالته في التعاريف اللغوية و الاصطلاحية من حيث المعاجم و القواميس :

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور لفظة « وطن، الوطن: المنزل تقيم به وهو موطن الانسان و محله، وقد خففه رؤية في قوله: أوطنت وطنا لم يكن من وطني لو لم تكن عاملها لم اسكن بها و لم أرجن بها في الرجن. »[2] ، إذن يشير مصطلح الوطن في هذا التعريف إلى مقر الإنسان الذي يأوي إليه، و مكان إقامته و استقراره ومصدر أمنه و أمانه، بمعنى أصله و جذوره العريقة التي ينتسب إليها، و لا يستطيع التخلي عنها باعتباره الهوية و المرجعية الثقافية العامة.

[1] أ. عبد المالك صيف, بنية الصورة الشعرية في النص الشعري الجزائري المعاصر, الملتقى الوطني الأول حول: النقد الأدبي الجزائري, الجزائر 21 – 22 ماي 2006 ص 290

[2] ابن منظور ،لسان العرب ص 4869

ورد أيضا في قاموس المحيط « الوطن، محركة و يسكن: منزل الإقامة و مربط البقر و الغنم. جمع أوطان و وطن به بطن و أوطن »[1]. أي أنه يبنى على أساس الاستقرار، و الإقامة، فيصبح مقرا دائما للانتماء، كما ذكر سابقا عند ابن منظور، و بالتالي كلا التعريفين يلتقيان في معنى، و دلالة واحدة، و كدليل على هذا، نجد توظيف لفظة "الديار" في الآية القرآنية التي تشير الى معنى الوطن لقوله تعالى:**{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}**[2]. هنا كلمة "الديار" تعني دار أي :(موضع الاستقرار و محل السكن)، فنلاحظ في هذه الآية أن معنى الوطن موجود بقوة من خلال هذه اللفظة، رغم أنه لم يصرح بلفظه الجوهري المباشر، إلا أن دلالته بارزة بعمق، كونها توحي للانتماء و الارتباط الوجودي، فالخروج من الديار تعني الخروج من الوطن.

نفس المثال نجده في آيات قرآنية أخرى لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: **{وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}**[3]، و كذلك في قوله:**{لَا أُقسِمُ بِهَٰذَا ٱلبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّ بِهَٰذَا ٱلبَلَدِ}**[4]، في البداية وصف الله البلد بالأمين (مكة المكرمة)، كركيزة لتعظيم شأن الوطن، ثانيا لإبراز مكانته، وبيان الجوهر العميق للأمن، بوصفه قوامه، فعلا لم تصرح كلمة الوطن في الآيات بشكل مباشر، إلا أن العمق الدلالي كفيل بإيصال المغزى، فلا وطن بلا أمن، و لا استقرار بلا طمأنينة.

وعليه يمكن القول بأن تغيّر مصطلح الوطن يبقى على معناه الأصلي، و الرابط الثابت للإنسان بين الموضعي و المعنوي، باعتباره أساس الانتماء و الهوية، لا مجرد مساحة جغرافية فقط.

و كون المعاجم اللغوية اختلفت في تحديد ماهية هذا المصطلح، فنجده أيضا في معجم التعريفات للجرجاني إذ يقول:« الوطن الأصلي هو مولد الرجل و البلد الذي هو فيه»[5].

كما يعرّفه الدكتور زيد عبد الكريم على أن المراد بالوطن هو:« الوطن الخاص أي بلدا لشخص، ولادة، ونشأة أو نشأة فقط »[1].

---

[1] مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي, قاموس المحيط تح, أنس محمد الشامي وآخرون, دار الحديث, القاهرة 1429 – 2008م, ص 1763

[2] سورة النساء الآية 66

[3] سورة التين الآية 03

[4] سورة البلد الآية 02

[5] محمد الجرجاني, معجم التعريفات, تح محمد صديق النمشاوي, دار الفضيلة القاهرة 1413 ص 212

إن الوقوف على هذه المفاهيم التي عينت برصد المعنى في حدوده اللغوية، و فتحت أفق أوسع للفهم و الدلالة، يتضح لنا بأن روح الوطن نعمة تسكننا أينما ذهبنا، و الانتماء الذي لا يشترى، فعلا سنكبر و سيتغير مجرى حياتنا كليا، لكنه حتما سيبقى مترسخا في قلوبنا لا يكهل ولا يشيخ فهو ليس مجرد أرض فحسب، بل هوية، و كرامة و جذورنا في الماضي و الأصل الذي لا ينسى، و يستحيل نكرانه، فشغفه بالنسبة لنا فطرة، و الفداء له شرف، لا قيمة للإنسان بدون وطنه، و كون أن حبه من الإيمان نسأل المولى عز وجل بأن يحفظه من كل سوء، و يبعد عنه الفتن ما ظهر منها و ما بطن، و يجعله آمنا ساخيا و سائر بلاد الأمة المسلمة جمعاء.

ب-اصطلاحا:

فيعتبر الوطن « مساحة الأرض أو الرقعة الجغرافية أو المنطقة التي يرتبط بها الشعب ارتباطا تاريخيا طويلا، فهو المنطقة التي تولدت فيها الهوية الوطنية للشعب، و ليس المنطقة الجغرافية التي ولدت فيها أمته»[2]، ففي هذا التعريف دمج بين الوطن لهو الإطار الجغرافي المكاني، باعتباره رقعة من تراب، و الركيزة المادية لنشوء الوطن، و بين الإطار البشري، و الصلة المرتبطة بينهما، و التي لا تقتصر فقط على الاستقرار، و المعيشة، و التوطن بل الولوج، و الوفاء، و الإخلاص له، و الشعور بالانتماء إليه.

و من المفاهيم العامة للوطن المفهوم العاطفي (حب الوطن) الذي قال عنه الأصمعي: « سمعت أعرابيا يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنه إلى أوطانه, و تشوقه إلى إخوانه، و بكاؤه على ما مضى من زمانه» ويقول أيضا: قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوانات الإبل تحن إلى أوطانها وإن كسان عهدها بها بعيدا، و الطير إلى وكره و إن كان موضعا مجدبا، و الإنسان إلى وطنه، و إن غيره أكثر نفعا»[3]، يرى الأصمعي أنّ الوطن موضع تتجلى فيه العلاقات الثقافية و الاجتماعية و الذاكرة بصفة عامة،و يدمج بين الكائن البشري ورقعة الأرض، و في قوله الإبل التي تحن إلى أوطانها وكأن الحنين غريزة لا تقتصر على الإنسان فقط بل تشمل حتى الحيوانات، و هذا الإحساس طبيعي، و أن الانتماء حقا إحساس فطري صادق و متأصل، و بالتالي يكون الارتباط وجدانيا وعاطفيا يفوق الحاجز المادي ،يقول« حسن البنا» في كتابه « الرسائل» رسالته « حدود وطنيتنا» قوله:..... وطن عندنا له حرمته و قداسته و حبه و الإخلاص له و الجهاد في سبيل خيره و كل

[1] محمد الجرجاني, معجم التعريفات، ص 212

[2] محمد العرابي, الوطن في الذهنية العربية بين الماضي والحاضر, مجلة اللغة العربية, بشار, الجزائر, ع 36 ص 180

[3] د. سلوى بنت محمد المحمادي, مفهوم الوطنية و التأصيل الشرعي, كلية التربية بمكة المكرمة, السعودية, 2009 م, ص 06

المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا و اخواننا نهتم لهم و نشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم »[1] ، أما في مفهومه العام للوطن يقول:« فالوطن هو المكان الذي أنتمي إليه و أعيش على أرضه تحت سمائه، فحق علي أن أحافظ على وطني الذي شربت من ماءه و عشت في كنفه، ووجدت فيه السكينة، و الأمان إن حب الوطن غريزة مغروسة في النفوس، و فطرة جبلت عليها، و ما من إنسان مخلص إلا و هو يعتز بوطنه لأنه مهد صباه، و مدرج خطاه، و مرتع طفولته، و ملجأ كهولته، و منبع ذكرياته، و موطن آبائه و أجداده، و مأوى أبناءه و أحفاده»[2].

في البداية يشير حسن البنا في كتابه الرسائل إلى المكانة العظيمة، و المقدسة للوطن و حرمته، و أنه جدير بالاحترام و التقدير، و أن حبه يتجلى في أفعال الناس فعبارة الجهاد في سبيل خيره دالة على السعي، و المثابرة في حماية الوطن و مصلحته، و الرفع من شأنه، أما في المفهوم العام، فقد أعطى تعبيرا عاما و شاملا عن كل ما يجول في نفسيته من شعور الحب و الالتزام و العاطفة النبيلة حول الوطن منذ الصغر في فترة نمو الطفل، و تربيته إلى أن يترعرع و يكبر في جو مليء بالدفء العائلي، و الأمان، و الراحة، ثم يكبر و يعي جيدا قيمته و الاعتزاز به، و ما يدركه اتجاهه يشيخ الإنسان و يكهل، فعلا ستتغير ملامحه من عز الشباب إلى الشيخوخة لكن وطنه يبقى دائما حافل بشريط الذكريات و التجارب الأولى التي مر بها كونه مرتبط بمستقبل الأجيال القادمة، فالكاتب قد جمع في تعريفه بين الانتماء، و الشعور النفسي العاطفي و الماضي الحي في الذهن، و ذاكرته و الواجب بالالتزام في ما هو قادم.

يقول الله عز وجل في سورة الفرقان:**{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا}**[3]، في هذه الآية تبين القدرة الإلهية و معرفته الكاملة و إحاطته بكل شيء من خلال بعث الرسل في كل موضع لتوجيههم، و إرشادهم أو بمعنى أصح تنبيههم، ووعيهم، كما ورد مصطلح "القرية"، الذي يشير إلى الوطن باعتباره ذلك التجمع الذي يسكن فيه الإنسان و المكوث فيه و الاستقرار بداخله .

من خلال استعراضنا لهذه التعاريف الخاصة بالوطن، و بالرغم من تعددها واختلاف صياغاتها إلا أن دلالتها تجتمع في مفهوم واحد، فنجده عند الجرجاني دال على مكان الولادة و النشأة، أمّا السيد المرتضى و صاحب كتاب " الجواهر" كلاهما اقتصرا على أنه موضع تتواجد فيه الأهلة، و الأصدقاء، و الشمل العائلي بصفة عامة،

[1] محمود محمد علي, مفهوم الوطن عند حسن البنا د ط, د ت, ص 11 – 12

[2] المرجع نفسه ص 22 – 23

[3] سورة الفرقان الآية 51

فهو ليس مقر مؤقت، و إنما الإقامة، و التوطن الدائم، فعندما يدخل الإنسان إلى وطنه تنتهي حالة السفر بالنسبة له، و لا يعتبر مسافرا، فتضمحل عنه كل الأنظمة، و القوانين الخاصة بالسفر.

3- ماهية المكان:

يعتبر المكان الركن الجوهري و الأساسي المهم في حياة الانسان بحيث اسهاماته ووظائفه لا تقتصر فقط على أنه الموضع و الكيان للمكوث و الاستقرار فيه ، بل تشكيلة لجل الذكريات و التجارب و الوجدان و رغم تنوعه، يظل شاهدا على حياته، و يبقى محتفظا بأثره و أحداثه التي مر بها.

أ- لغة:

لقد وردت لفظة المكان في المعاجم العربية بكثرة إلا أنها تحمل دلالات مختلفة، فلو وقفنا عند لسان العرب لابن منظور نجد :«مكن و مكن المكن و المكن: بيض الضبة و الجرادة و نحوهما قال أبو الهندي و اسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس: و مكن الضباب طعام العريب و لا تشتهيه نفوس العجم، واحدته مكنة و مكنة: بكسر الكاف و قد مكنت الضبة و هي مكون و أمكنت وهي ممكن إذا اجتمعت البيض في جوفها و الجرادة مثلها»[1].

نجد في تعريف ابن منظور للمكان، بمعنى الموضع الذي يوضع فيه الشيء موضعا آمنا و محددا لكينونته فيه، أي موضع الأشياء و تداخلها في بعضها البعض، وفي مثال آخر نجد بعض الآيات القرآنية، قد ورد فيها مصطلح المكان في قوله تعالى:**{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا}**[2]، يظهر لنا أن دلالة المكان هنا تشير إلى الموضع المحدد، كونها دالة على المكان الحسي اعتزلت اليه مريم: محدد في جهة الشرق أي الاتجاه الجغرافي لا عن رتبة معنوية، و بالتالي يمكن القول بأن المكان يندرج ضمن الجانب الحسي، و أن العربية تكسبه الطاقة الرمزية في دلالة تجسيد العلاقات الانسانية و الاجتماعية، «وقد جاء في المعجم الوسيط(مكن) له في الشيء جعل له عليه سلطان و في التنزيل العزيز:"**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**"[3] و الثوب خاطه بمكنة الخياطة (مج)، و فلانا من الشيء أمكنه منه، (تمكن) عند الناس: علا شأنه، و المكان، و به: استقر فيه و من الشيء: قدر عليه، أو ظفر به، (استمكن) من الشيء: تمكن.»[4].

---

[1] ابو الفضل, جمال الدين, محمد بن مكرم الأنصاري, ابن منظور لسان العرب دار صادر, بيروت , د ط, م, ج 13 ص 113

[2] سورة مريم الآية 16

[3] سورة الكهف الآية 84

[4] معجم اللغة العربية, معجم الوسيط, بيروت لبنان, ط 1 ص 881

فصل المعجم في التعريف اللغوي للمكان تفصيلا دقيقا فالمقصود هنا "بمكنا له" أي: أعطيناه القوة والقدرة على التصرف في الأرض و بمعنى آخر تحمل مسؤولية ذلك الأمر، أما الأرض هنا دلالة على الموضع أو الحيز الذي ينسب و ينسحب في سياق العودة إلى مصطلح "المكان".

من جانب آخر نرى بأن دلالة المكان لا تنحصر فقط على الموضع، و إنما على مصطلح آخر لهو "المنزلة" نجد ذلك في القرآن الكريم لقوله تعالى:**{قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا}**[1]، إذن هنا تشير لفظة "مكانا" في الآية الكريمة إلى مرتبة الإنسان من ناحية المقام والرفعة و الشأن بمعنى المنزلة عامة، وليست للموضع المحدد، أي أسوء حال عند الله لا من حيث المكان المادي الملموس، و بالتالي يمكن القول بأن دلالة المكان في المعاجم، و الآيات القرآنية، تجلت ضمن اطارين لهما: الجانب المادي للموضع، والجانب المعنوي للمنزلة، والجانب الآخر للبدل منه يعبران عن مصطلح واحد، لكن لكل منهما دلالة مختلفة و رأي خاص به.

كما عرفه "جميل صليبا" في معجمه الفلسفي بأنه:« المكان الموضع، و جمعه أمكنة وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم, تقول مكان فسيح و مكان ضيق, وهو مرادف للامتداد»[2]، إذن في هذا المفهوم نستنتج بأن المكان جاء على أساس موضع الشيء، أي الركن الخاص والمحدد به بمعنى آخر مفهوم نسبي يتحدد بوجود الأجسام أو ما يحتويه بارتباط وثيق و عميق، و ورد "المكان" أيضا في آيات قرآنية كثيرة قد ذكرنا منها سابقا، و لابأس في ذكر أمثلة أخرى تحمل دلالة جديدة نجد مثلا في سورة يوسف لقوله تعالى:**{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}**[3]، هنا جاءت لفظة "مكان" بمعنى البدل منه أي استبدال شخص بشخص آخر أو العوض، نعوض شيء بشيء، البديل المغاير عنه.

يقول عز وجل أيضا في سورة يوسف:**{قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ }**[4]. يدل المصطلح في هذه الآية على "المنزلة" و ما نسميها بالمقام و الرفعة أي المكانة لكن جاءت بمنظور سلبي فقيل: "أنتم شر مكانا" بمعنى الجانب المعنوي أي أن حالكم، و منزلتكم الاخلاقية أخبث، و أدنى، و أسوأ من أن توجهوا الادعاءات و الأقوال الباطلة.

---

[1] سورة مريم الآية 75

[2] جميل صليبا, المعجم الفلسفي, دار الكتاب اللبناني, بيروت لبنان د, ط 1981, ج1 ص 412

[3] سورة يوسف الآية 78

[4] سورة يوسف الآية 77

ب-اصطلاحا:

يعد المكان الإطار الخارجي الذي يضم الأشياء داخل حدود متباينة سواء كانت مادية (ملموسة)، أو معنوية من حيث الدلالة بصفة عامة، و لأن أهميته بالغة، فهو ليس مجرد مظهر خلفي للأحداث، بل ركن فاعل يوجه حركة الشخصيات، و يبين جوانبها ويظهر تفاصيلها، هذا ما أكده « "غاستون باشلار" بقوله: ما كنت أعنيه بهذا المصطلح هو المكان الأليف و لكنني كنت أتصور تلك الألفة على أنها ملامح المدينة المألوفة، و التي نعرف تاريخها جيدا، مثل الشارع الذي ندمن الجلوس في مقاهيه، الأزقة الشعبية، البيت ذي الخصوصية الهندسية و الزخرفية.....»[1]، فقد لخّص غاستون باشلار في هذا التعريف دلالة المكان على أنها المقر الأول للنشأة، و موطن الولادة، أي فيه ترعرع الإنسان و كبر حاملا جل الذكريات منذ أن كان صغيرا سواء من ناحية المشاهد المكانية من:" غرفة، شارع، مدرسة، ملعب..." أو الأشخاص: عائلته و أصدقائه، أو حتى الخبرات التي اكتسبها بفضل التعلم، و ما تحملها من أحاسيس و مشاعر إما:" حزن، خوف، خذلان، دهشة، صدمة، فرحة..... إلى غير ذلك"و بالتالي يغدو المكان مسار في تكوين تجاربنا الشخصية في الحياة.

هذا ما أكده ياسين النصير في قوله:« المكان عندي مفهوم واضح, يتخلص بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة الفاعل بين الإنسان، و مجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر، يحمل جزءا من أخلاقية و أفكار ووعي ساكنيه، ومنذ القدم، وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي، و الغريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله وأسراره و كل ما يتصل به، و ما وصل إليه من ماضية ليورثه الى المستقبل»[2].

في هذا التعريف الوجيز نستخلص بأن المكان في الكيان الاجتماعي هو الأفق الذي تتداخل فيه العلاقات كونها تتضمن عدة جوانب منها: "الاقتصادية، الثقافية، الإنسانية و الاجتماعية"، و يعكس حياة الإنسان في علاقاته بالمجتمع، لذلك يعد المكان كفضاء متناسق و متكامل يجمع بين الأبعاد المكانية، و المادية و غيرها في اطار واحد.

[1] غاستون باشلار, جمالية المكان, تر: غالب هلسا, المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت لبنان ط 2, 1984 ص 06

[2] ياسين النصير, الرواية و المكان, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, (د, ط), 1980, ص (16 – 17)

فهو ليس مجرد فراغ، بل عبارة عن صندوق، أو وعاء يحتضن الأشياء المادية، الملموسة، و يحتويها، و يعزلها عن بقية الأمور الأخرى، و أن أول استعمال فلسفي لمصطلح المكان، يرجع إلى أفلاطون الذي جعله محور البداية للنقاش حول طبيعته بوصفة "وعاء الوجود".

حيث يرى بأنه «"الخلاء" المطلق و المكان هو المسافة الممتدة والمتناهية لتناهي الجسم»[1]، بمعنى أنه ليس عنصر مادي، بل اتساع للجسم يسمح له بأن يوجد وهذا الاتساع يختتم بحدود الجسم نفسه، أو بمعنى آخر هو موضع، أو حوض قابل للاحتواء لكنه غير ملموس بل جزء من العالم المثالي.

بينما يرى «أريسطو أن المكان موجود مادمنا نشغله، و نتحيز فيه و كذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقل من مكان إلى آخر، والمكان لا يفسد بفساد الأجسام»[2]، بغض النظر عن ما قاله أفلاطون في تعريف المكان إلا أن رأي أريسطو كان مغايرا تماما عن أستاذه بحيث ادعى على أنه مادي مرتبط بالأجسام و ليس بعالم المثل.

وعليه ما يمكن قوله هو أن لكل من الفلاسفة رأي خاص فمنهم من دمج المكان مع المفاهيم الميتافيزيقية و البعض الآخر بارتباطه مع الأجسام.

4-أنواع المكان:

يشكل المكان ركن مهم في حياة الإنسان، إذ يجسد فيه العلاقات بمختلف مجالاتها، فلا يمكن تصور أحداث إلا بوجوده، الذي تنمو، وتتشعب فيه، بحيث تعددت أنواعه بحسب طبيعته، و استخدامه نجد منها ما يلي:

أ- المكان المفتوح:

يعد المكان المفتوح، رقعة واسعة غير محدودة، توفر الحرية التامة للإنسان نجد فيه ما يشمل: "الحديقة، الشارع، الساحة، الشاطئ، الغابة..... فالحديث عن الأماكن المفتوحة « هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير، يتموج فوق أمواج البحر، وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصراع الدائم بين هذه الأمكنة كعناصر فنية, وبين الانسان الموجود فيها.»[3]، فالأمكنة هنا تكسب دور فعال في نفسية الإنسان ما تمحنه الحرية والطلاقة، باعتبارها مساحة للتأمل و الاستجمام ، عكس المغلقة التي عادة ما تكسر قيوده، فيسبب له الضغط

[1] عبدي مهدي: جمالية المكان في ثلاثية حنامينه, الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق سوريا, ط 2011, ص 28

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] المرجع نفسه ، ص 95

والتوتر الحاد إلا أنها تحمل معاني كثيرة منها ما تثير في النفسية: الفرح، والسعادة، والراحة التامة ومنها ما يبعث الخذلان، والموت والفشل، و بالتالي كل إطار وله دلالة خاصة به.

« إضافة إلى الاختلاف بين الأمكنة بالنظر إلى أشكالها، وبينهما وأهميتها في القصص، فإنها تخضع في تشكلاتها أيضا الى مقياس آخر مرتبط بالاتساع، و الضيق أو الانفتاح و الانغلاق، فالمنزل ليس هو الميدان، و الزنزانة ليست هي الغرفة، لأن الزنزانة ليست مفتوحة دائما على العالم الخارجي بغلاف الغرفة فهي دائما مفتوحة على المنزل والمنزل على الشارع وكل هذه الأشياء تقدم مادة أساسية»[1]، إذ أن راحة الإنسان تتواجد في انفتاحه على العالم الخارجي أي تواجده في موضع ذو سعة فائقة، مما يجعله إيجابي التفاعل مع غيره، وتقديم الأفضل، هذا ما يدل على البعد النفسي، ودوره في انفعال الشخصية فقد ارتبط بالمكان المفتوح ارتباطا متينا جدا، هذا ما أكدته "سامية أسعد" بقولها:«ما يرتبط المكان على مستوى الزمن ببعض المشاعر والأحاسيس بل ببعض القيم السلبية، والإيجابية فهناك أماكن محببة هي المرفأ والملاذ أهمها البيت بلا شك رغم أنه مكان مغلق..... وهناك أماكن مكروهة»[2].

وعليه نختم القول بأن المكان المفتوح يشكل حيز واسع، شامل غير مغلق، ليس له حدود، يعزز العلاقات بين الأفراد، والمجتمعات، والتشجيع على التفاعل بينهما، فيعطي احساس بالراحة، و الانفتاح والهدوء والسكينة، إذ تنعكس دائما حالتنا النفسية اتجاه الأماكن التي نتواجد فيها، فقد تكون مصدر الذاكرة، بمعنى أنها تذكرنا، وتحيي في نفوسنا تجاربنا في الحياة، وقد تكون أيضا مصدر الولوج، وانشراح الصدر واستخراج الطاقة السلبية، والتفريج عن الهموم و الكربات.

ب-المكان المغلق:

المكان المغلق هو حيز محدود من جميع الجهات، يمثل الجزء الأساسي الذي يعيشه البشر في حياته، كونه اطار داخلي محصور يتقيد بجدران، و سقف مثل: "بيت، مدرسة، مستشفى، وغيرها"، أي الموضع الذي حددت مساحته، ومقتضياته، فقيل عن المكان المغلق: «هو مكان العيش والسكن الذي يؤوي الانسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية»[3].

---

[1] محبوبة محمدي محمد آبادي, جمالية المكان في قصص سعيد حورانية, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, سوريا,2011 ص 44

[2] المرجع نفسه، ص 51

[3] عبيدي,مهدي, جمالية المكان في ثلاثية حنامينه, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, سوريا, د,ط 1, 2011 ص 44

وقيل أيضا:«هو المكان الاجباري المؤقت فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدرا للخوف أو هو الأماكن الشعبية التي يقصدها الناس لتمضية الوقت والترويج عن النفس كالمقاهي، أو تلك الأماكن التي تتردد عليها الطبقة المترفة الثرية لتشبع ثرواتها كالملاهي»[1].

إذن كلا التعريفان يصبان في معنى واحد ألا وهو الحد الفاصل للأشياء، بمعنى موضع مغلق، الذي ينسب للأنشطة الضرورية بعيدا عن التشويش، والفوضى الخارجية، له جانبين اما سلبيا من حيث الشعور بالكراهية والضيق والتوتر الشديد في السجن، أو المستشفى وصوت صراخ المرضى وغيرها، اما ايجابيا من حيث الهدوء، والراحة والسكينة في البيت، باعتباره مصدر السلم والأمن والأمان.

وفي هذا الطرح نستند إلى قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام:**{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}**[2]، في هذه الآية ذكر المكان المغلوق بالتحديد في كلمة "السجن" ولو فصلنا في دلالته نجد أنه يوحي الى الطاقة السلبية، والملل، والشعور بالأرق، والعجز، والكسل، كذلك في تنزيل العزيز:**{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}**[3].

أشارت هذه الآيات الى معنى واحد، فقط الاختلاف في الألفاظ مثل: "مكانا ضيقا، السجن، البيت، والتي توحي الى المكان المغلق، فالبيوت توفر الراحة والاستقرار، والسجن مصير السجون، ومقدرة عليه يتحمل نتيجة أفعاله السيئة، فيعاقب عليها القانون.

وعليه ما نستنتجه من هذه الآيات والتعريفات أن المكان المغلوق ما هو إلا حيز له حدود معينة ومتباينة تشغل موضع بارز كالمدرسة، البيت بما فيه من غرفة ومطبخ، مستشفى، قاعة الحفلات، قاعات الرياضية وغيرها" عكس المكان المفتوح الذي لا حدود له، بكونه جغرافيا، نطاقاته واسعة وشاملة وبالتالي لكل واحد منهم ميزته الخاصة تميزه عن غيره، فمنه يبقى المكان المصدر الأول للتعايش الإنساني، والمكوث فيه، والاستقرار داخله «كما تحتوي الأماكن المغلقة على الشخصيات وأماكن اقامتهم وتحركاتهم فالمكان المغلق: هو مكان العيش والسكن الذي يأوي اليه الانسان يبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو ارادة الآخرين، لذا هو المكان المؤطر

[1] عبيدي,مهدي, جمالية المكان في ثلاثية حنامينه، ص 43

[2] سورة يوسف الآية 33

[3] سورة يوسف الآية 42

بالحدود الجغرافية والهندسية، ويبرز الصراع القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا اذا بدأ التألق يتضح أو يتحقق بين الانسان والمكان الذي يقطنه»[1].

وبالتالي فالمكان المغلق هو المكان المحاط بأسقف وجدران بعيدا عن الأفق المفتوحة، يشمل كل من القاعات، الغرف، البيوت بصفة عامة، المقاهي، المستشفيات، المستودع، وغيرها لكل واحد منهم ميزة ودور خاص به كونها تؤثر سلبا على النفسية الخاصة بالإنسان، فتجلب له الضغط والقلق والطاقة السلبية، لكن الحديث عن هذه الأماكن، لا يكون بالمنظور السلبي فقط، وإنما له جانب ايجابي آخر لا يمكن انكاره، نجده مثلا عند المكوث في البيت، وهذا لضرورة العيش مثلا المستشفيات ضرورية للعمل وتشخيص حالة المرضى وعلاجهم، أما المقهى يتعب فيها العامل وصاحبه لكسب القوت وتوفير المأوى للعائلة، وعليه فلكل موضع وله وظيفة أساسية يشتغل عليها لم يأتون عبثا.

ج-المكان الأليف:

إن الحديث عن المكان الأليف، هو الحديث عن الراحة التي يلجأ اليها الإنسان في حياته دون تردد وتفكير، ففيه تستريح نفسه وتطمأن في هدوء وسكينة، ففكرة الانجذاب اليه نابعة من الحنين، والشوق لذكرياتنا الجميلة خاصة في الطفولة، سواء الأحياء الشعبية، أو الحديقة، أو المدرسة، أو البيت، فاقتران النفسية للإنسان بهذا النوع من المكان صلة عميقة وثابتة لا تنقطع، وارتباط وثيق لا يتلاشى، مما يوفر السلام النفسي ويبعث الهدوء والطمأنينة، فعادة ما يمر بأيام قاسية، وظروف مزرية، يجول في صراع مع نفسه، فتجده يعود إلى المكان الأليف لترتيب أفكاره، ومراجعة حساباته لتسوية أوضاعه، فهو لا يقتصر على المكان بمفرده، بل تعزيز العلاقات بين أفراد العائلة في البيت، كونه ملاذ للإنسان، ومأواه وموطن الأمان. والحنين إلى الماضي واسترجاع ذكرياته الجميلة، وأبسط اللحظات التي عاشها الانسان، تظل راسخة في الذهن مهما مر الزمن، وتقدم العمر، لأنها أصدق في المشاعر والبراءة في الطفولة، هنا يصبح المكان الأليف شاهد ودليل على أروع الأيام وأجملها في الحياة.

وفي رأي "غاستون باشلار" يرى بأن «أمكنة الألفة هي: التي نحب وهي أمكنة مرغوب فيها، وترتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها المكان والتي يمكن أن تكون قيمة ايجابية، قيم متخيلة سرعان ما تصبح هي القيم المسيطرة، إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش

[1] محمد بني محمدي وآخرون, المكان وأثره في تشكيل صورة المجتمع عند علي بدر, مجلة الجامعة العراقية, العراق, ع61, ج1, ص687